

دمية القصر

قد كانَ يومَ الوغى ماضي السَّنانِ وإنْ ... حادَ المُنازلُ للأقرانِ لن يَحْدِرَ .
أَمْضَى وأَجْرًا صَدْرًا من غَضَنَفَرَةٍ ... عَبلَ الذراعِ شَدِيدِ البَطشِ ذي لَبَدٍ .
كم من كَميٍّ غَدَا في رِيقِ أَحِبِّلِهِ ... فَأَحْسَنَ العَفْوِ عنه غيرَ مُضْطَهَدٍ .
أولاهُ منه نوالًا ثم أَعْتَقَهُ ... رَطَبَ اللسانِ بِشُكْرِ العَتِيقِ والرَّغَدِ .
ومنها :

أبا شُجاعٍ فتى الهَيَجا وفارسَها ... ومُشتري الشُّكْرِ بالإنفاقِ والصَّفَدِ .
هذي بَنُو أسَدٍ جاءت بِمؤيَدَةٍ ... صَمَّاءَ بائحةٍ هَدَّتْ ذُرًّا أُحَدٍ .
سَطَّتْ على المَتنبِّي من فوارسِها ... سَبَّعونَ جاءَته في مَوجٍ من الزَّرَدِ .
حتى أَتَتْ وهوَ في أَمْنٍ وفي دَعَاةٍ ... يَسِيرُ في سِتَّةٍ إنْ تُحْصَ لم تَزِدِ .
كَرَّسَتْ عليه سِرَاعًا غيرَ وارِثَةٍ ... فغادَرَتَهُ رَهينَ التَّربِ والثَّأَدِ .
من بعد ما أَعْلَمْتَ فيهِم أسِنَّةَته ... طَعَنًا يُفَرِّقُ بينَ الرُّوحِ والجَسَدِ .
فاطْلُبْ بئارَ فَتَى ما زِلْتَ تَعَضُّهُ ... دَرُّكُ من كَهْفٍ ومن عَضُدٍ .
أَذْكَ العُيُونِ عليهم أَيْسَّةً سَلَاكُوا ... وَضِيَّ قِ الأرضِ والأَقطارِ بالرَّصَدِ .
شَرَّ دَهْمٌ بِجِيوشٍ لا قِوامَ لها ... تَأْتِي على سَيِّدِ الأَقوامِ واللَّبَدِ .
أبو الحسنِ عليُّ بن محمد التَّهاميُّ .

هو وإن توج هامة تهامة بالانتساب إليها وطرزكم الصناعة بالاشتغال عليها فإن مكانه لم يزل بالشام حتى انتقل من جوار بنيها الأجلة الكرام إلى جوار ذي الجلال والإكرام . وله شعر أدق من دين الفاسق وأرق من دمع العاشق كأنما روح بالشمال أو علل بالشمول فجاء كنيل البغية ودرك المأمول .

حدثني القاضي أبو جعفر بن إسحاق البجلي قال : حدثني أبو كامل نعيم بن المفرج الطائي أن التهامي هذا كان في ابتداء أمره من السوق :

وقد كانَ يَرمي عن مَريرة قَوْسِهِ ... بِكَالِثَلَجِ تُذْريهِ خُرُوقُ الغَمائمِ .
ويَعْلُو كثيرًا بالكَهامِ مُنْذَشِدْشَاءً ... فِقَارَ قَطُوفٍ ذي ثلاثِ قوائمِ .

ثم انتقطع إلى بني الجراح يمتدحهم ويستضيء بهم ويقتدحهم . وكانت له همة في معالي الأمور تسول له رئاسة الجمهور . فقصده مصر واستولى على أموالها وملك أزمه أعمالها وعُمالها . ثم إنه غدر به بعض أصحابه فصار ذلك سبباً للظفر به وأودع السجن في موضع يعرف بالمنسي حتى مضى لسبيله . فمن محاسنه التي تعلق في كعبة الفصاحة قوله :

كن من لواِحظِ عينيها على حذرٍ ... فإنَّ ألحاظها أمضى من البُتُورِ .
أهتزُّ عندَ تمني وصلها طَرباً ... ورُبَّ أمنيَّةٍ أحلى من الطَّفَرِ .
جني عليَّ وأجثي من مَراشفِها ... ففي الجَنى والجناياتِ انقضى عُمُري .
أهدي لنا طيفُها نَجداً وساكنه ... حتى اقتنصنا طِباءَ البدوِ في الحَصَرِ .
فباتَ يخلو لنا من وجهِها قَمراً ... من البراقعِ لولا كُلفةُ القَمَرِ .
وراءَها حرٌّ أنفاسي فقلتُ لها : ... هواي نارٌ وأنفاسي من الشَّوَرِ .
فزادَ دُرُّ الثَّنايا دَرُّ أدمُعِها ... فالتفَّ منتظماً منه بمنتَـذِرِ .
فما نَكَرنا من الطَّيفِ الملمِّ بنا ... ممَّن هَويناها إلا قلةَ الخَفَرِ .
ومن بدائعِ هذه الرائية قوله :

لولاهُ لم يَقْضِ في أعدائه قَلَمٌ ... ومجَلِبُ الليثِ لولا الليثُ كالطُّفْرِ .
ما صَرََّ إلاَّ وصَلتَ بيضُ أنصُلِهِ ... في الهامِ أو أطَّتِ الأرماحُ في الثُّغَرِ .
وغادرت في العِدا طاعناً يحفُّ به ... ضربُ كما حَفَّتِ الأعكانُ بالسُّرَرِ .
قلت : هذا وا□ هو المعنى البيع والربيع المريع والتشبيه للائق والغرض الموافق وقد كان
يملكني الإعجاب بقول ابن المعتز :

وتحتَ زنابيرِ شَدَدٍ دَنَ عقودَها ... زنابيرُ أعكانٍ معاقدُها السُّرَرِ